

موقف الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام من الشعر والشعراء

الشيخ قيس العطار^١

د. رضا عرب البافрани^٢

د. قاسم شهري^٣

الملخص: الكلام العربي ينقسم إلى نثر و شعر. ومما لا يشك فيه أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم منبع البلاغة ومورد الفصاحة. وليس لهم أحد مماثل في هذا الميدان من سائر الناس. فأما النثر فقد وصلنا منه عنهم عليهم السلام ما يقف البلغاء أمامه عاجزين متحيرين، وحسبك من ذلك كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وأما الكلام يقع في مضمار الشعر ومكانته عند النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، وهل كانوا يقرضون الشعر أم لا؟ فالكلام يقع في مقامين: الأول: مكانة الشعر والشعراء عن أهل البيت عليهم السلام، والثاني: هل كان أهل البيت يقرضون الشعر؟

فأما أهمية الشعر عند النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام فما أفصحت عنه سيرتهم وحكته آثارهم. وبالنسبة لقرض الشعر فرسول الله ﷺ مستثنى من هذا البحث، فإنه لم يكن ينشد أو يقيم حتى بيتاً واحداً من الشعر. بعكس الأئمة عليهم السلام، فإنهم كانوا يروون الشعر وينشدونه ويستشهدون به في خطبهم وكلماتهم وكتبهم ورسائلهم.

الكلمات المفتاحية: الشعر والشعراء؛ النبي ﷺ؛ أئمة أهل البيت عليهم السلام.

١. محقق وأستاذ بالحوزة والجامعة في مشهد المقدسة.

Arabbafrani.135@gmail.com

٢. عضو الهيئة العلمية في الجامعة الرضوية في مشهد المقدسة.

Danesh.hamrah@gmail.com

٣. محقق وأستاذ بالحوزة والجامعة في مشهد المقدسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللجنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

وبعد، فإنّ الكلام العربي ينقسم إلى نثر و شعر، وجعل بعضهم القرآن قسماً ثالثاً لهما، باعتباره ليس كنثر العرب و ليس بشعر، لكن الصواب أنّ القرآن المجيد نثر من الطبقة التي لا تجارى، والتي أعجزت بلغاء قريش و فصحاء شعراء و ناثرين.

ومما لا يشك فيه ذو مسكة أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم منبع البلاغة ومورد الفصاحة. وليس لهم أحد مماثل في هذا الميدان من سائر الناس، لأنهم زُفوا العلم زقاً وأخذوه من الله، ومن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أفصح من نطق بالضاد على الإطلاق.

فأما النثر فقد وصلنا منه عنهم عليهم السلام ما يقف البلغاء أمامه عاجزين متحيزين، وحسبك من ذلك كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عموماً والتي حوّاها نخب البلاغة خصوصاً، حتى قال ابن عباس وهو هو في البلاغة والتفسير والرواية والشعر والنثر: وجدنا كلام عليّ دون كلام الخالق وفوق كلام الخلق ما عدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ^١.

وكان ولداه الحسن والحسين عليهما السلام ملتقى بحري النبوة والإمامة، وفاضت بحورهما بدرر من الكلام تعجز عن الإتيان بمثلها الأنام، ومن تصفح خطبهما ورسائلهما وكتبتهما وكلماتهما القصار، علم صحّة ما نقول.

وأما الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام، فيكفي المرء أن يقرأ ما فاه به فمه الشريف في الصحيفة السجّادية، ليقف على ما يُذهل من عيون البلاغة، والتفنن في العبودية والتضرع إلى الله، وذكر الآخرة والموت، والزهد، والوعظ، وغير ذلك من الكلمات الإلهية التي ابتعد عنها الناس أنذاك، وساهمت الحكومة الأموية في إبعادهم عنها، وحدّتهم إلى الانغماس في الملاهي والملذات.

وهكذا كلّ أئمة أهل البيت الاثني عشر، حيث كانوا يقودون الناس إلى شاطئ الرحمة الإلهية، ويهدوهم إلى الصراط المستقيم، وذلك عبر شتى الطرق والوسائل ومنها الأدب الرفيع.

وهذا كلّ مما لا شكّ ولا شبهة فيه، غير أنّ الكلام يقع في مضممار الشعر ومكانته عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم





وأهل البيت عليهم السلام، وهل كانوا يقرضون الشعر أم لا؟ فالكلام يقع في مقامين: الأول: مكانة الشعر والشعراء عن أهل البيت عليهم السلام، والثاني: هل كان أهل البيت يقرضون الشعر؟

مكانة الشعر عند المعصومين عليهم السلام

أ: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

فأما أهمية الشعر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام فما أفصحته عنه سيرتهم وحكته آثارهم، فقد كانوا يشجعون الشعر والشعراء، ويعطونهم الأعطيات، ويدعون لهم بفنون الدعوات، وهذا ما تواتر عنهم ولا حاجة لذكره بالتفصيل، وإنما نذكر منه نُتْقاً لئلا يخلو منها المقام.

قال ابن القدامة في المغني: والشعر كالكلام؛ حسنه حسنه، وقبيحه قبيحه، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إنَّ من الشعر لحكماً، وكان يضع لحسان منبراً يقوم عليه فيهجو من هجا رسول الله صلى الله عليه وآله وآله والمسلمين، وأنشده كعب بن زهير قصيدة «بانت سعاد» في المسجد، وقال له عمه العباس: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قل لا يفيض الله فاك... وقال عمرو بن الرشيد: أردفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قلت: نعم، فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة قافية... وليس في إباحة الشعر خلاف، وقد قاله الصحابة والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد به في التفسير، وتعرّف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستدل به أيضاً على النسب والتاريخ وأيام العرب، ويقال: الشعر ديوان العرب.^١

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لحسان: هاجهم - أو اهجهم - فإن جبريل معك.^٢

وقال الأميني رحمه الله: وكان صلى الله عليه وآله وسلم يصوّر للشاعر جهاده وينصّ به ويقول: اهجوا بالشعر، إنَّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأئمة تنضحونهم بالنبل، وفي لفظ آخر: فكأنّ ما ترموهم به نضح النبل، وفي ثالث: والذي نفس محمد بيده فكأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر.^٣

وعن عبد الله بن سلمة، قال: كنّا عند عمّار بن ياسر بصفين وعنده شاعر ينشده هجاءً في

١. المغني، لابن قدامة ١٢: ٥٢ - ٥٣.

٢. مسند أحمد ٤: ٢٩٩.

٣. الغدير ٢: ٧.



معاوية وعمرو بن العاص، وعمار يقول له: الصق بالعجوزين، فقال له رجل: أيقال الشعر عنكم ويُسب أصحاب رسول الله ﷺ ويُسب أصحاب بدر؟! فقال له عمار: إن شئت فاسمع وإن شئت فاذهب، فإن معاوية وعمراً قعدا بسبيل الله يصدان عنه، فالله ساجهما وكلّ مسلم، إنّه لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: قولوا لهم كما يقولون لكم، فإن كنا لنعلّمه الإماماء بالمدنية.^١

وكان ﷺ يصحّح المفاهيم الخاطئة التي قد يقع فيها الشعراء، ذكر ابن هشام قصيدة لكعب بن مالك الأنصاري يجيب فيها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قال فيها:

بجالدنا عن جذمنا كلّ فحمة مُدْرَبَةٌ فيها القوانس تلمعُ

فقال ﷺ: أ يصلح أن تقول: بجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم. فقال رسول الله ﷺ: فهو أحسن، فقال كعب: بجالدنا عن ديننا.^٢

ب: أمير المؤمنين عليه السلام

وسار أمير المؤمنين عليه السلام على نهج رسول الله ﷺ في تشجيع الشعر والشعراء في الدّبّ عن حريم الإسلام والمسلمين، وقمع الناكثين والقاسطين والمارقين، فبعد أن قال كعب بن جعيل التغلبي شاعر معاوية في صفين قصيدة في ذمّ أهل العراق واتّهام أمير المؤمنين عليه السلام بدم عثمان، دعا أمير المؤمنين عليه السلام شاعره النجاشي فقال له: إنّ ابن جعيل شاعر أهل الشام، وأنت شاعر أهل العراق، فأجب الرجل.^٣

وكتب عمرو بن العاص كتاباً فيه شعر إلى عبد الله بن العباس يحاول أن يستغويه ويفتله عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قال نصر: فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتى به علياً فأقرأه شعره، فضحك عليه وقال: قاتل الله ابن العاص، ما أغراه بك؟! يا ابن عباس أجبه، وليردّ عليه شعره الفضل بن العباس فإنّه شاعر.^٤

١. أنساب الأشراف: ٣١٦ ح ٣٨٤.

٢. سيرة ابن هشام ٣: ٦٤٣.

ومثل هذه الحادثة إنشاد أبي الريح الخزازي مرثية في الإمام الحسين عليه السلام عند فاطمة بنت الحسين قال فيها:
وإن قيل لطف من آل هاشم أذلّ رقاباً من قريش فذلت

٣. شرح النهج الحديدي ٣: ٨٩.

٤. صفين: ٤١٢.



وعن ابن عرادة، قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يُعَشِّي الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشَّى معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته... ثم قال: قل يا أبا الأسود فيم كنتم تفيضون فيه؟ أي الشعراء أشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافع ركني أعوجيُّ ذو ميعة إضربُج
مخَلَطٌ مَزِيلٌ مَعَنٌ مَفْنٌ مَنَفْحٌ مَطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجٌ

يعني أبا دؤاد الإيادي، فقال عليه السلام: ليس به، قالوا: فمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: لو رُفعت للقوم غاية فحروا إليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن إن يكن فالذي لم يُقَلَّ عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هو الملك الضليل ذو القروح، قيل: امرؤ القيس يا أمير المؤمنين؟ قال: هو.^١

ج: سائر الأئمة عليهم السلام

وهكذا سائر الأئمة عليهم السلام، بل كان لكل منهم عليهم السلام شاعر أو شاعران أو أكثر، فأما شعراء رسول الله فكثيرون، وكذلك شعراء أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أحصينا أكثر من مائتي شاعر من شعراء أمير المؤمنين عليه السلام وجمعنا شعرهم، وأشهرهم قيس بن عمرو النجاشي شاعر أهل العراق في صفتين.^٢ وأما الإمام الحسن عليه السلام، فشاعرتة أم سنان المذحجية، هكذا ذكر ابن الصباغ المالكي^٣، وفاته ذكر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وحجر ابن عدي الكندي. وأما الإمام الحسين عليه السلام، فشاعره يحيى بن الحكم وجماعة غيره.^٤ وأما الإمام السجاد عليه السلام، فشاعراه الفرزدق وكثير عزة.^٥ وأما الإمام الباقر عليه السلام، فشاعراه الكميت والسيد الحميري.^٦ وأما الإمام الصادق عليه السلام، فشاعره السيد الحميري.^٧ وفاته ذكر جعفر ابن عفان الطائي، ومنصور

١. شرح النهج الحديدي ٢: ١٥٣-١٥٤.

٢. طبع ديوانه مستقلاً بصنعة الأستاذ قيس العطار.

٣. الفصول المهمة: ١٥٣.

٤. الفصول المهمة: ١٧١.

٥. الفصول المهمة: ٢٠١.

٦. الفصول المهمة: ٢١١.

٧. الفصول المهمة: ٢٢٣.



النمري، وسفيان بن مصعب العبدي الكوفي، وغيرهم.

وأما الإمام الكاظم عليه السلام، فشاعره السيد الحميري.^١

وأما الإمام الرضا عليه السلام، فشاعره دعبل بن علي الخزاعي.^٢

وأما الإمام الجواد عليه السلام، فشاعره حماد.^٣

وأما الإمام الهادي عليه السلام، فشاعراه العوني والديلمي.^٤

وأما الإمام العسكري عليه السلام، فشاعره ابن الرومي.^٥

وأما الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام، فقد كان غائباً، وإلى اليوم كلّ شعراء الشيعة شعراؤه.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على شدّة اهتمام الأئمة بالشعر الهادف والشعراء العقائديين، مقابل الحكومات الظالمة الغاصبة، التي كانت تقرب المتزلفين وأبواق الشاطين، وتقتل وتسجن وتشردّ كلّ من يمت لأهل البيت عليهم السلام بصلة.

وكان عمر بن الخطاب أول من أخاف الشعراء القائلين للحق، فلذلك تنصّل الشاعر - أبو المختار يزيد بن قيس بن الصعق أو خالد بن الصعق أو أبو المختار النميري - تنصّل عن أداء الشهادة على عمّال عمر الخائنين السارقين للأموال، حيث أرسل إلى عمر قصيدة عدّد فيها أسماء الخونة من عمّال عمر، يقول فيها:

ولا تدعونيّ للشهادة إنّي أغيب ولكي أرى عجب الدهر

فقال عمر: فإنّنا أعفيناه من الشهادة.^٦

وكاشف عثماناً الشعراء بالعداوة، فحين هجاه الشاعر الثائر عبدالرحمن بن حنبل الجمحي ضربه عثمان مائة سوط. وحمله على بغير وطاف به في المدينة، وأودعه في السجن مثقلاً بالحديد، ثم سيّره إلى قلعة بخير تسمّى القموص.^٧

وراح معاوية يهدّد ويتوعّد كلّ من هجاه بشعر أو ناصر أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين،

١. الفصول المهمة: ٢٢٢.

٢. الفصول المهمة: ٢٤٤.

٣. الفصول المهمة: ٢٦٦. والظاهر أنّه والد الشاعر علي بن حاد بن عبيد العبدي البصري.

٤. الفصول المهمة: ٢٧٨.

٥. الفصول المهمة: ٢٨٥.

٦. انظر فتوح مصر وأخبارها، للقرشي المصري: ٢٥٩-٢٦١، وكتاب سليم: ٢٢١ - ٢٢٢، وكنز العمال ٥: ٨٥١-٨٥٣، والإصابة ٦: ٥٥٢-٥٥٣ في ترجمة

يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعق.

٧. انظر مقدمة ديوانه، لقيس العطار: ٣٠.



ويكفيك أن تلقي نظرة سريعة على الوافدين على معاوية على جليلة الحال، بل كان يهدّد حتى النساء الطاعنات في السنّ اللواتي قلنّ فيه شعراً أو نشراً أو مدحاً أمير المؤمنين عليه السلام، أمثال: سودة بنت عمارة الهمدانية، وبكاره الهلالية، والزرقاء بنت عدي الهمدانية، وأمّ سنان المذحجية، وعكرشة بنت الأطرش بن رواحة، والدارمية الحجونية، وأمّ الخير بنت الحريش بن سراقه البارقي، وأروى بنت الحارث بن عبدالمطلب، وأمّ البراء بنت صفوان بن هلال، وأمّنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق التي سجنها معاوية سنتين.

وأما يزيد فحدّث ولا حرج، فإنّه أراد أن يستعبد الناس، فحرّهم أبيّ الضميم الحسين بن علي عليه السلام بدمه المراق على صحراء كربلاء، ومع عظم هذه الفجيعة نرى جابر الأنصاري يزور قبره خيفة وخلسة، وترثيه الشعراء خائفة وجملة، حتى قال أبوالفرج الأصفهاني: وقد رثى الحسين ابن علي -صلوات الله عليه- جماعة من متأخري الشعراء... وأما من تقدّم فما وقع إلينا شيء رثي به، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافةً من بني أمية وخشية منهم.^١

وتفنن بنو العباس بالقمع والقهر، حتّى راحوا يتتبعون الموتى من الشعراء ناهيك عن أحيائهم. فقد كان منصور النمري يدين بالإمامة سرّاً ويمدح آل الرسول، ويعرض في شعره بالسلف، والرشيد لا يعلم ذلك حتّى أكثر... ثمّ أقبل العتّابي يحضّ الرشيد عليه ويذكر مذهبه وينشد شعره في الطالبين شيئاً بعد شيء، فدعا الرشيد بأبي عصمة -وهو من شيعة بني العباس- فقال له: اخرج من ساعتك إلى الرقة.. فخذ منصور النمري فسلاً لسانه من قفاه، واقطع يده ورجله، ثمّ اضرب عنقه، واحمل إلى رأسه، واصلب هناك بدنه، فخرج أبو عصمة لذلك، فلما صار بباب الرقة وهو يدخل المدينة إذا هو بجنازة النمري قد استقبلته، فانكفاً راجعاً إلى الرشيد فأعلمه، فقال له: فهلاً إذ صادفته أحرقتة بالنار. وفي رواية أخرى: أنّهم قد نبشوا قبره.^٢

ووشي بأبي محمد عبدالله بن عمار البرقي -أحد شعراء أهل البيت- إلى المتوكّل وقرئت له نوبتته^٣،

١. مقال الطالبين: ٨١.

٢. انظر مقدمة ديوان منصور النمري: ٢٤.

٣. التي يقول فيها:

وإن قوماً رجوا إبطال حكّم
لن يدفعوا حكّم إلا بدفعهم
فقلّوها لأهل البيت إنّهم
أمسوا من الله في مخط وعصيان
ما أنزل الله من آي وفرآن
صنوا النبي وأتم غير صنوان



فأمر بقطع لسانه وإحراق ديوانه، ففعل به ذلك، ومات بعد أيام، وذلك سنة ٢٤٥هـ^١. وفي فتنه بغداد التي وقعت سنة ٤٤٣هـ نشوا قبور جماعة من الشيعة وطرحوا النيران في تراجمهم، ومنهم العوني الشاعر، والناشيء علي بن وصيف، والشاعر المعروف الجذوعي^٢.

ومن هنا تعلم أهمية الشعر، ولماذا اعتنى أهل البيت ﷺ بالشعر والشعراء، حتى قال الإمام

الصادق عليه السلام: من قال فينا بيت شعر بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة^٣.

وقال عليه السلام: ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس^٤.

وقال الإمام الرضا عليه السلام: ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلا بنى الله تعالى له مدينة في الجنة

أوسع من الدنيا سبع مرات، يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل^٥.

وفيما ذكرناه هنا كفاية ومقنع، وتفصيل ذلك خارج عن نطاق هذه المقدمة.

المعصومون ﷺ وقرض الشعر والاستشهاد به

أ: الرسول ﷺ

إنّ رسول الله ﷺ مستثنى من هذا البحث، لقوله تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين»^٦، وما ورد موثقاً غير ذلك فله أجوبة مكررة مذكورة في محالها، وذلك كقوله عليه السلام في يوم حنين:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله عليه السلام:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله عليه السلام:

غير الإله قط لا ندينا ولو عبدنا غيره شقيننا

فإنّ هذا وأمثاله من الرجز الشبيه بالنثر، ولم يعدّه كثير من العروضيين من الشعر، ولذلك قالوا:

١. الغدير ٤: ١٤٠.

٢. الغدير ٤: ١٢٩.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥ ح ١.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥ ح ٢.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥ ح ٣.

٦. يس: ٦٩.



شاعر وراجز، ولأنّ الكلام القصير إذا وافق الوزن والقافية صدفة من دون قصد للشعر فليس بشعراً، فلا يكاد يسلم كلام المتكلم طوال عمره من أن يكون بعضه على وزن وقافية، دون أن يكون شاعراً، وقد ورد مثل هذا في كلام الله المجيد، كقوله تعالى: «وجفانٍ كالجواب وقدور راسيات»^١، وقوله تعالى: «ويجزهم وينصرم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين»^٢، وقوله: «إنا أعطيناك الكوثر»^٣، ولم يخرج الكلام عن كونه قرآناً ونثراً^٤، أضف إلى ذلك أنّ الدراسات الحديثة بل والقديمة تشترط الخيال والتخيّل في الشعر^٥، وليس في القرآن ولا في كلام النبي ﷺ شيء من ذلك. وتفصيل الأمر موكول إلى محله، غير أنّ نهاية المطاف هي أنّ عدم قول الشعر للنبي ﷺ إنّما هو لجهة خاصة. والذي يهتمنا هو قول الأئمة عليهم السلام للشعر، فهل هو ورسول الله ﷺ سواء في عدم قول الشعر أم أنّهم يجوز عليهم قول الشعر؟ وإذا قالوه فهل هو من باب الإنشاء أو من باب الاستشهاد والإنشاد.

الذي تقتضيه الأدلة أنّه لم يرد ولا حديث واحد يُحيل على الأئمة عليهم السلام قول الشعر أو يمنع منه، فالأصل فيه الإباحة، وإذا ورد في خصوص الرسول الكريم ﷺ المنع لعلّة ما فهذه العلة منتفية في الأئمة عليهم السلام.

قال الراوندي: إنّ النبي ﷺ قد كان يعاف قول الشعر، وقد أمره الله تعالى بذلك لئلا يتوهم الكفار أنّ القرآن من قبله، وليخلص قلبه ولسانه للقرآن، ويصون الوحي عن صنعة الشعر؛ لأنّ المشركين كانوا يقولون في القرآن: إنّهُ شعر، وهم يعلمون أنّه ليس بشعر، ولو كان النبي ﷺ معروفاً بصنعة الشعر لنقموا عليه بذلك وعابوه به.^٦

وهذه العلة غير موجودة في الأئمة عليهم السلام؛ إذ انتشر الإسلام، وثبت القرآن، وآمن به الناس، ولم يبق من يردّد مقولة المشركين: إنّهُ شعر، إذن منع الشعر عن النبي ﷺ مخصوص بجهة خاتمتها،

١. قال البهوتي في كشف القناع ٥: ٢٥ وأما قوله ﷺ «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب» ونحوه فليس بشعر، لأنّه كلام موزون بلا قصد زنته، وانفق أهل العروض والأدب على أنّه لا يكون شعراً إلا بالقصد. واختلفوا في الرجز أشعر أم لا؟
٢. سبأ: ١٣.
٣. التوبة: ١٤.
٤. الكوثر: ١.
٥. انظر الخراج والخراج ٣: ١٠٥١، والمغني لابن قدامة ١٢: ٥٣.
٦. قال ابن عطية في المخرر الوجيز ٤٤: ٤٦٢ وإنما منعه الله تعالى من الشعر ترفيعاً له عمّا في قول الشعراء من التخييل وتزويق القول.
٧. الخراج والخراج ٣: ١٠٥١. وانظر الصراط المستقيم ١: ٦٠.

وكون القرآن معجزه الأكبر، فلكي لا يتطرق له الشك والشبهة وطعن الطاعنين منع الله رسوله من قول الشعر، وعلّة المنع هذه منتفية في الأئمة عليهم السلام.

والذي يؤكد ذلك أنّ النبي ﷺ لم يكن ينشد أو يقيم حتى بيتاً واحداً من الشعر. بعكس الأئمة عليهم السلام، فإنهم كانوا يروون الشعر وينشدونه ويستشهدون به في خطبهم وكلماتهم وكتبهم ورسائلهم.

فقد قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين في قريش خاصة، وأجزل القسم للمؤلفة قلوبهم كأبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان ابن أمية، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وزهير بن أمية، وعبدالله بن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان، وهشام بن المغيرة، والأقرع ابن حابس، وعيينة بن حصن في أمثالهم... وقد كان رسول الله ﷺ أعطى العباس بن مرداس أربعاً من الإبل يومئذ فسخطها، وأنشأ يقول:

أَجْعَلْ نَحْيِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بِدَيْنِ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْجَمْعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ

فبلغ النبي ﷺ قوله فاستحضره وقال له: أنت القائل: أَجْعَلْ نَحْيِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ؟! فقال له أبوبكر: بأبي أنت وأمي، لست بشاعر، قال: وكيف؟ قال: بين عيينة والأقرع... إلى آخر القصة.^١

وفي رواية أخرى: قالوا: يا رسول الله إنما قال: «بين عيينة والأقرع»، فأعادها وقال: «بين الأقرع وعيينة»، فقام إليه أبوبكر حينئذ فقبل رأسه وقال: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له.»^٢

وفي رواية أخرى: فقال أبوبكر: «بين عيينة والأقرع»، فقال رسول الله ﷺ: هما واحد.^٣ وقال ابن عطية الأندلسي: كان رسول الله ﷺ لا يقول الشعر ولا يزيه وكان إذا حاول إنشاد بين قسم متمثلاً كَسَرَ وَرَثَهُ، وإتّما كان يحرز المعنى فقط، وأنشد يوماً قول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزوّده بالأخبار

١. انظر الإرشاد ١: ١٤٥-١٤٧.

٢. تفسير النعالي ٨: ١٣٥.

٣. الدرر، لابن عبد البر: ٢٣٢.





وأنشد يوماً وقد قيل له: من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

ألم تريا بي كلما جئت طارقاً وجدتُ بها وإن لم تطيب طيباً

وأنشد يوماً:

أجعل نهبي ونهب العبيد مد بين الأقرع وعيينة

... وقال الحسن بن أبي الحسن: أنشد النبي ﷺ: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً، فقال

أبو بكر وعمر: نشهد أنك رسول الله، إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

وقالت عائشة: كان يتمثل بشعر أخي طرفة فيعكسه، فقال له أبو بكر: ليس هكذا، فقال ﷺ:

ما أنا بشاعر وما ينبغي لي.^٢

ب: الأئمة عليهم السلام وقرض الشعر والاستشهاد به

وأما الأئمة فقد ثبت استشهادهم بالشعر في خطبهم وكلماتهم وكتبهم ورسائلهم.

ففي الخطبة الشقشقية تمثل بقول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر^٣

وقال في خطبة له عليه السلام خطبها بعد التحكيم: فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد^٤

ومن كتاب له كتبه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة: أو أكون كما قال

القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحوالك أكباد تحنُّ إلى القِدِّ^٥

إلى غير ذلك من استشاداته عليه السلام الموثقة في كتب التواريخ والسِّير والأدب.

وكتب الإمام الحسن عليه السلام كتاباً إلى معاوية، فيه: أما بعد، فإنك دسست إلى الرجال كأنتك تحب

اللقاء، وما أشك في ذلك فتوقَّعه إن شاء الله، وقد بلغني أنك شمتت بما لا يشمت به ذوو الحجى،

١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤: ٤٦١.

٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤: ٤٦٢.

٣. مجمع البلاغة ١: ٣١ خ ٣.

٤. مجمع البلاغة ١: ٨٦ خ ٣٥.

٥. مجمع البلاغة ٣: ٧٢ الكتاب ٤٥.

وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

وقل للذي يبغي خلاف الذي مضى
ويجهر لأخرى مثلها فكأن قد
ويأنا ومن قد مات منا لكالذي
يروح ويمسي في المبيت ليغتدي^١
ولما وَقَعَ الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية أقام الإمام الحسن عليه السلام بالكوفة أياماً، ثم تجهز
للشخص إلى المدينة... فلما كان من غدٍ خرج، فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة وقال:

وما عن قلبي فارقته دار معاشري
هم المانعون حوزتي وذماري^٢
وقال ابن خلكان: ولما بلغ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وفاة معاوية بن أبي سفيان وبيعة
ولده يزيد بن معاوية عزم على قصد الكوفة بمكاتبة جماعة من أهلها كما هو مشهور في هذه الواقعة
التي قتل فيها الحسين عليه السلام، فكان في تلك المدة يتمثل كثيراً بقول يزيد بن مفرغ من جملة أبيات:

لا ذعرت السَّوَامِ في عَلسِ الصُّبِّ
ح مغيراً ولا دُعيثُ يزيدا
يوم أُعطي على المخافة ضيماً
والمنايا يرصدني أن أحيداً^٣
وخطب الحسين عليه السلام خطبة رائعة في يوم عاشوراء قال فيها: ألا إنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قد ركز بين
اثنتين، بين السَّلَّةِ أو الذَّلَّةِ، وهيهات منا الذَّلَّةُ... ألا إنِّي زاحف بمهذ الأُسرة على قَلَّةِ العدد، وكثرة
العدوِّ، وحذلان الناصر، ثمَّ تمثَّل بأبيات فروة بن مسييك المرادي:

فإنَّ مَهْزَمٍ فَهَرَامُونَ قَدَمًا
وإنَّ نَغْلِبَ فَغَيْرَ مُغَلَّبِينَا
وما إنَّ طَبْنَا جُبْنٌ وَلَكِن
منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رَفَعَ عن أناس
كلاكِله أناخ بآخرينا
فأفنى ذلكم سَرَوَاتِ قومي
كما أفنى القرونَ الأوَّلِينَا
فلو حَلَدَ الملوکُ إِذْ نَحَلَدْنَا
ولو بقي الكرامُ إِذْ بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ثمَّ قال: أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريت ما يُركبُ الفرس حتى تدور بكم دور الرِّحَى ...^٤
وقد نَحَجَ هذا المنهج كلَّ الأئمة الاثني عشر، فاستشهدوا بشعر الشعراء في المناسبات والأماكن

١. مقال الطالبين: ٣٣. والبيتان من جملة قصيدة لعبيد بن الأبرص كما في ديوانه: ٤٨.

٢. شرح النهج الحديدي ١٦: ١٧. والشعر لزميل بن أثير الفزاري كما في أنساب الأشراف: ٤٠٩.

٣. وفيات الأعيان ٦: ٣٥٢.

٤. لوائح الأشجان: ١٣٢، الاحتجاج ٢: ٢٥، مثير الأحرار: ٤٠.





الملائمة للمقصد المتمثل به بالشعر، بل كانوا يروون الشعر الهادف المتصل بأغراض الهداية والموعظة والحكمة، فقد قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: هل رويت من الشعر شيئاً؟ فقال عليه السلام: قد رويت منه الكثير، فقال: أنشدني أحسن ما رويته في الحلم، فقال عليه السلام:

إذا كان دوبي من بُليتُ بجهله أبيتُ لنفسي أن تُقايِلَ بالجهل

فقال له المأمون: ما أحسنَ هذا! من قاله؟ فقال عليه السلام: بعض فتياننا، قال: فأنشدني أحسن ما رويته في السكوت عن الجاهل وترك عقاب الصديق، فقال عليه السلام:

إني ليهجري الصديق تجتبا فأريه أنّ لهجره أسبابا

...فقال المأمون: ما أحسن هذا! من قاله؟ قال: بعض فتياننا... وهكذا ظلّ المأمون يسأل والإمام يجيبه ويقول أنّ الشعر لبعض فتيان بني هاشم.^١

ودخل الإمام الهادي عليه السلام يوماً على المتوكل فقال له: يا أبا الحسن من أشعر الناس؟ وكان قد سأل قبله ابن الجهم فذكر شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام، فلما سأل الإمام عليه السلام قال: علي بن محمد الحماني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمطّ حدود وامتداد أصابع

فلمّا تنازعنا المقال قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا تراه جهير الصوت في كلّ جامع

فقال المتوكل: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، جدّي أم جدّك؟ فضحك المتوكل ثمّ قال: هو جدّك لا ندفعك عنه.^٢

وسكّر المتوكل يوماً وأمر جلاوزته بالمحوم على دار الإمام الهادي عليه السلام، فجاءوا به وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب، فدخل الإمام عليه السلام على المتوكل والكأس في يد المتوكل، فناوله الكأس التي كانت في يده، فقال عليه السلام: والله ما يخامر لحمي ودمي قط فأعفني، فأعفاه، فقال: أنشدني شعراً، فقال عليه السلام: إني قليل الرواية للشعر، فقال: لا بدّ، فأنشده وهو جالس عنده:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلّل

إلى آخر القصيدة، فبكى المتوكل حتّى بلّت لحيتّه دموع عينيّه، وبكى الحاضرون، وضرب المتوكل

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٨٧ / الباب ٤٣ ح ١.

٢. انظر مناقب آل أبي طالب ٣: ٥١٠، وديوان الحماني: ٨١.

بالكأس الأرض وتنعّص عيشه في ذلك اليوم.^١

ولعلّ الإطالة في سرد الشواهد على ذلك ممّا يثقل كاهل الأوراق دون كبير فائدة هنا، ففيما ذكرناه من النماذج غنيّ ومقنع.

ومثل ذلك بالضبط قولهم الشعر، فقد تواتر عنهم قول الشعر ولو تواتراً إجمالياً، فما من إمام من الأئمة إلا ونسب إليه شيء من الشعر، وصحّ بعضه بلا أدنى ريب، فقد توافرت المصادر على نقله، ومن هذا الثابت الذي لا يُمتري فيه قول أمير المؤمنين عليه السلام في غزوة الخندق مجيباً عمرو ابن عبد ود:

لا تعجلنّ فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة والصدق ينجي كلّ فائر
إنيّ لأرحو أن أقيده هم عليهم نائحة الجنائر
من ضربة بجلاء يبيد قتي ذكرها عند الهزاهز

وقوله عند مبارزة مرحب بطل اليهود:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة

قال ابن منظور: قال أبو العباس أحمد بن يحيى: لم تختلف الرواة أنّ هذه الأبيات لعلّي عليه السلام.^٢ ومثل ذلك قوله في حضين بن المنذر الذهلي وقد رأى حُسن إقدامه براية ربيعة:

لمن راية حمراء يخفق ظلّها إذا قيل قدّمها حُضَيْنٌ تقدّما

وهي ثلاثة عشر بيتاً، اتفقت المصادر أو كادت على نسبتها أو بعضها لأمر المؤمنين عليه السلام. وقد جمع القدماء شعر أمير المؤمنين عليه السلام، وكان أبو أحمد عبدالعزيز الجلودي المتوفى سنة ٣٣٣ هـ أقدم من جمع ديوانه.

وجمعه أيضاً الشيخ أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد الفنجركردى المتوفى سنة ٥٠٠ هـ.

ولابن الشجري المتوفى سنة ٥٣٤ هـ ديوان أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد طبع أخيراً كتاب «أنوار العقول من أشعار وصي الرسول» جمع قطب الدين الكيدري،

١. انظر البحار ٥٠: ٢١١، كنز الفوائد: ١٥٩، وفيات الأعيان ٣: ٢٧١، تاريخ الإسلام ١٨: ١٩٩، الوافي بالوفيات ٢٢: ٤٨، البداية والنهاية ١١: ١٩.

٢. لسان العرب ٤: ٣٨٢ مادة «سندر».



المتوفى سنة ٥٤٧هـ.

إذن لا ريب في صدور الشعر عنهم عليهم السلام إجمالاً، وذلك لوقوع الشعر الشديد في النفوس، خصوصاً النفس العربية الجياشة التي ربما رجحت الموت لبيت من الشعر كما حصل ذلك للمتنبي شاعر العرب الأكبر، فإنّ من الناس من لا يقع الكلام المنشور في نفسه كموقع الكلام الموزون المقفى، ولأنّ الشعر أسهل حفظاً وتداولاً من النثر، ولأنّه لا يحتاج إلى الكتابة والتدوين كثيراً، بل ينساب من الخاطر إلى خاطر دون عناء.

هل الشعر ينافي العصمة؟

من المباحث الهامة في هذا المجال هو تصوّر بعض أن الشعر ينافي العصمة أو ينافي مقام المعصوم - غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم - باعتبار أنّ المعصوم لا يصحّ أن يكون شاعراً. وهنا لا بدّ من بيان عدّة مطالب:

الأول: أنّ أعمدة الشعر أربعة: الوزن، القافية، القصد، التخييل.

قال الفيومي: الشعر العربي هو النظم الموزون، وحده: ما تركّب تركباً متعاضداً وكان مُقَفًى موزوناً مقصوداً به ذلك، فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يُسمّى شعراً ولا يُسمّى قائله شاعراً. ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنّة موزوناً فليس بشعر لعدم القصد أو التقفية.

وكذلك ما يجري على ألسنة بعض الناس من غير قصد، لأنّه مأخوذ من «شعرت» إذا فطنت وعلمت، وسمّي شاعراً لفطنته وعلمه به، فإذا لم يقصده فكأنّه لم يشعر به.^١

فهذه ثلاثة أعمدة يضاف لها العمود الرابع وهو عنصر التخييل، قال ابن عطية الأندلسي: وإتّما منعه [أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم] الله تعالى من الشعر ترفيعاً له عمّا في قول الشعر من التخييل وتزويق القول، وأمّا القرآن فهو ذكرٌ لحقائق وبراهين ... والشعر نازل الرتبة عن هذا كلّه.^٢

بل المناطقة يعدّون التخييل أساس الشعر، وما ليس فيه تخييل فليس بشعر، قال ابن سينا: وأمّا القياسات الشعرية فهي المؤلّفة من المقدمات المُخيّلة من حيث هي مُخيّلة؛ سواء كان مصدقاً بها أو لم يكن، وسواء كانت صادقة في نفس الأمر أو لم تكن ... وقدماء المنطقيين كانوا لا يعتبرون الوزن في حدّ الشعر ويقتصرون على التخييل، والمحدثون يعتبرون معه الوزن، والجمهور لا يعتبرون فيه إلّا

١. المصباح المنير: ٣١٥ مادة «شعر».

٢. المحرر الوجيز ٤: ٤٦٢.



الوزن والقافية.^١

وقال الشيخ محمد رضا المظفر: إنّ الكلام المنظوم المُقَمَّى إذا لم يشتمل على التصوير والتخييل لا يُعَدُّ من الشعر عند المنطقة، فلا ينبغي أن يُسَمَّى المنظوم في المسائل العلمية أو التاريخية المجردة مثلاً شعراً وإن كان شبيهاً به صورةً، وقد يُسَمَّى شعراً عند العرب، أو بالأصحّ عند المستعربين.^٢

إذن ما يُرْمَى يقال بمنافاته للعصمة هو التخييل والتزييق القول الذي يستلزم الكذب، فإذا كان الشعر فيه من التخييل والتزييق والكذب وما شابه ذلك كان مذموماً وصفة نقص ومنافياً للعصمة، وما خلا عن ذلك - كشعر المعصومين - فلا مانع منه.

ومن ذلك قيل لحسان بن ثابت: لَأَنْ شِعْرُكَ - أو هرم شعرك - في الإسلام يا أبا الحسام؟ فقال: يابن أخي، إنّ الإسلام يحجز عن الكذب - أو يمنع من الكذب - وإنّ الشعر يزينه الكذب، يعني أنّ شأن التجويد في الشعر الإفراط في الوصف والتزيين بغير الحقّ، وذلك كُلهُ كذب.^٣

الثاني: أتنا يجب أن نلاحظ الفرق بين الشاعر وبين قائل الشعر، خصوصاً في الجاهليّة وفي زمان المعصومين (عليه السلام)، إذ الشاعر آنذاك يساوق الكاذب، قال الراغب في مفرداته في قول الكفّار: (بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ)^٤، وقولهم: (لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ)^٥، وقولهم: (شَاعِرٌ نَزَّيْصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ)^٦: قال بعض المحصّلين: لم يقصدوا هذا المقصد [أي الشعر المنظوم] فيما رموه به، وذلك أنّه ظاهرٌ من الكلام أنّه ليس على أساليب الشعر.. وإتّما رموه بالكذب، فإنّ الشعر يُعَبَّرُ به عن الكذب، والشاعر: الكاذب، حتّى سمى قومٌ الأدلّة الكاذبة: الشّعريّة، ولهذا قال تعالى في وصف الشعراء: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ)^٧، ولكون الشعر مقرّ الكذب قيل: أحسن الشعر أكذبه، وقال بعض الحكماء: لم يُرْمَدَيِّينِ صادقُ اللّهجة مُفْلِقاً في شعره.^٨

الثالث: أنّ ما ورد في ذمّ الشعر والشعراء محمول على الوجهين المتقدّمين، أو على الشعر الحاوي

١. الإشارات والتبنيات: ٢٨٩:١.

٢. المنطق: ٤٦١.

٣. الاستيعاب: ١/٣٤٦/ الترجمة ٥٠٧.

٤. الأنبياء: ٥.

٥. الصفات: ٣٦.

٦. الطور: ٣٠.

٧. الشعراء: ٢٢٤.

٨. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٦ مادة «شعر».





على الأغراض المنهي عنها في الشرع، مثل الخمريات، والتشبيب، والنسيب، ومدح الظالمين، والمبالغات القبيحة، وأمثال ذلك من الأسباب التي تجعل الشعر والشاعر مورداً للذم، وما ورد مُطْلَقَ النهي مثل: «لئن يمتلى جوف الرجل قبحاً خيراً من أن يمتلى شعراً»^١ يحمل على أحد هذه الوجوه - جمعاً بين الأدلة - أو على الاشتغال بالشعر وترك حفظ القرآن والحديث وأمور الشريعة المقدسة. إذن الذم يكون وارداً في موارد خاصة خارجة عن ماهية الشعر نفسه، فعن علي بن يقطين، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الكلام في الطواف وإنشاد الشعر والضحك في الفريضة أو غير الفريضة^٢، أيستقيم ذلك؟ قال: «لا بأس به، والشعر ما كان لا بأس به مثله»^٣.

قال العلامة محمد إسماعيل بن الحسين المازندراني الخواجوي: لا ريب أنّ نفس الشعر من حيث إنّه شعر وكلام موزون لا قبح فيه، بل هو حسنٌ في الجملة^٤.

وقال السيد عبد الله الجزائري: وحكم الشعر - وهو الكلام المنظوم مطلقاً - حُكْمُ غيره من أنواع الكلام، فَحَسَنُهُ - كالمشتمل على ذكر أو حكمة - حَسَنٌ إنشاءً وإنشاداً واستماعاً، بل هو أوقع في النفس وأقرب إلى الحفظ، وقبيحُهُ - كالمشتمل على هجو أو تشبيب أو تغزل - قبيح كذلك، بل أفحش و أشنع على تفاوت أصنافه وأفراده.

وما ورد في ذم الشعر وأهله في الكتاب والسنة فالمراد به الكلام التخيلي الذي لا حقيقة له منظوماً أو منشوراً كما جرى عليه اصطلاح المنطقيين .. وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً ينشد:

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَتُوبُ
وِغَائِبِ الْمَوْتِ لَا يَتُوبُ

فقال: إنّ من الشعر لحكمة.

وقد كانت تُنشد الأشعار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام من دون نكير، بل زبماً أمرُوا بذلك^٥.

من كلّ ما تقدّم يُعلم أنّه لا مانع من قول المعصوم - عدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم - للشعر، خصوصاً إذا لحظنا كون الشعر - في حدّ نفسه - صفة كمال لا صفة نقص، إذ إنّ في الشعر ميزات خاصة

١. مستطرفات السمرات: ٦٣٣.

٢. أي في الطواف الواجب أو المستحب.

٣. الاستبصار ٢: ٢٢٧/٢٢٨، ح ٧٨٤، تحذيب الأحكام ٥: ١٢٧/١٢٨، ح ٤١٨.

٤. جامع الشتات ١: ٢٢٨.

٥. النخبة السنية في شرح النخبة المحسنية: ٣٢٤.

ترجّح كفته أحياناً على النثر، وإن أبيت فهو كالنثر حسنٌ في الجملة ومن أساليب الكلام العربي الراقي.

وبعد ملاحظة كلِّ ما تقدّم نعرفُ وَجَهَ دفع الإشكال الذي يقال: من أنّ الشعر المنسوب للمعصومين عليه السلام ليس في طبقة نثرهم المتناهي في الفصاحة والبلاغة، وذلك لأنّ شعرهم عليه السلام خالٍ من المبالغات، ومن أكاذيب الشعراء المحسّنة للشعر، ومن التركيز على المحسنات البديعية، ومن المواضيع والأغراض التي يخلّق بها الشعراء، بل هو شعراً هادف يتناول الحقائق ويكرّز عليها، فهو أقرب للشعر التعليمي، بل لا يصحّ أن يُسمّى قائلة شاعراً بالمعنى الذي أسلفناه، بل يسمّى شاعراً بنحو من التجوّز.

يبقى هنا سؤال يطرح نفسه، وهو أنّنا بعد الفراغ عن حسن الشعر وجوازه بل رجحانه في حدّ نفسه - إن لم يقبح لجهة ما - نتساءل: ما هو الداعي والدافع لقول المعصوم عليه السلام للشعر؟

دوافع قولهم عليه السلام الشعر والاستشهاد به

للإجابة عن ذلك نقول: بعد أن علمنا أنّه لا ريب في صدور الشعر عنهم: إجمالاً، فإنّ المسوّغ لذلك عدّة أمور:

أولها: وقع الشعر الشديد في النفوس، خصوصاً النفس العربية الجياشة التي ربّما رجّحت الموت لبيت من الشعر كما حصل ذلك للمنتبّي شاعر العرب الأكبر^١.

وثانيها: أنّ من الناس من لا يقع الكلام المنثور في نفسه كموقع الكلام الموزون المقفى، وذلك لتشرّب ذهنيته بأشعار العرب ومذاهبهم فيه.

وثالثها: أنّ الشعر أبقى في الذهن؛ لأنّه أسهل حفظاً وأكثر تداولاً من النثر، ومن ثمّ لا يحتاج إلى الكتابة والتدوين كثيراً، بل ينساب من الخاطر إلى الخاطر دون عناء.

ورابعها: أنّ أعداء أهل البيت استغلّوا سلاح الشعر أبشع استغلال، فما من خطبة لهم أو كلام يتكلمونه إلّا ووشّحوه بالشعر، وما من حاكم إلّا واتّخذ له بطانةً من الشعراء لتحقيق مآربه، فقابلهم أهل البيت: بنفس السلاح.

١. انظر مقتل المنتبّي لتذكير غلامه إياه بقوله:

الخيل والليل والبيداء تعرفني

في العدة ١: ٧٥، ونشوار المحاضرة ٤: ٢٥٠، وبغية الطلب ٢: ٦٨٢.



النتائج

كان الأئمة عليهم السلام يستخدمون الشعر لترسيخ المفاهيم الإسلامية، لا لنقص النثر وعجزه عن أداء الأغراض، بل لأنّ السامع المخاطب أكثر تفاعلاً مع الشعر، وألين عريكة معه، وأشدّ انسجاماً مع انسيابيته، فالنقص كما يقال في القابل لا الفاعل، وربما يكون ذلك من مصاديق قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّنا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم، يستثنى من ذلك قول الشعر بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله كما تقدم ويبقى الباقي على ما هو عليه من فائدة وتأثير.

ناهيك عن أنّ العرب على وجه الخصوص حفظوا آثارهم ومآثرهم عن طريق الشعر أكثر من النثر، لذلك يكون الشعر مساوفاً لعراقة التاريخ، وممتداً معهم إلى أبعد الجذور التي ينتمون لها، وحينذاك تكون مخاطبتهم بالشعر منسجمة مع نفسيّتهم وأقرب إلى ذواتهم وتجاربهم التاريخية والحيثية.

وفوق كل ذلك نحن نذهب إلى أنّ الأئمة عليهم السلام كرّسوا الاهتمام بالشعر والشعراء في مقابل المدّ السلطوي الذي كان يستغلّ الشعر والشعراء أبشع استغلال في سبيل مقاصده الدنيوية، حيث كانوا يستخرون ذلك لتثبيت حكوماتهم وإلقاء الناس بمدحهم وهجاء أعدائهم، وإشغالهم بالغزل والتشبيب والوصف والملاحاة وغير ذلك، فكان الأئمة عليهم السلام يقابلون ذلك بالشعر الهادف، ليكونوا نموذجاً يستنّ به محبّوهم ومن فيهم رشحة من رشحات الإيمان.

المصادر

- القرآن الكريم
- ابن أبي الحديد، شرح نصح البلاغة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الأولى، ١٣٧٨هـ.
- ابن إدريس، مستطرفات السرائر، تحقيق: لجنة التحقيق، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، الثانية، ١٤١١هـ.
- ابن الأبرص، ديوان عبيد بن الأبرص، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٩٩٤ .
- ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريزي، قم، دار الحديث، الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، ١٤٠٨هـ.
- ابن حجر، الإصابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥هـ.



ابن حنبل احمد، مسند احمد، بيروت، دار صادر.

ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة.

ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، الرابعة، ١٩٧٢م.

ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ.

ابن عابدين (علاء الدين)، تكملة حاشية رد المحتار، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجعافري، بيروت، دار الجيل، الأولى، ١٤١٢هـ.

ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، الثالثة.

ابن عطية الغرناطي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٣هـ.

ابن قدامة، عبد الله، المغني، بيروت، دار الكتاب العربي.

ابن قيس، سليم، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، قم، نشر الهادي، الأولى، ١٤١٥هـ.

ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.

ابن مزاحم المنقري، وقعة صغين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، قم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الثانية، ١٤٠٣هـ.

ابن منظور، لسان العرب، قم، أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

أبو علي سينا، الإشارات والتنبيهات، شرح: نصير الدين الطوسي، وشرح الشرح: لقطب الدين الرازي، قم، نشر البلاغة، الأولى، ١٣٨٣هـ.

الأصفهاني، أبوالفرج، مقاتل الطالبين، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، قم، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، الثانية، ١٣٨٥هـ.

الأميني، عبد الحسين، الغدير، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٧هـ.

الأمين، السيد محسن، لوايع الأشجان، قم، مكتبة بصيرتي، ١٣٣١هـ.

الأندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٣هـ.

الباعوني الدمشقي، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الأولى، ١٤١٥هـ.

البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، تصحيح: السيد جلال الدين الحسيني، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ.

البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٣٩٤هـ.

البهوتي، كشف القناع، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٨هـ.

تنوحي، محسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالحي المحامي، ١٣٩١هـ.





- الثعلبي، تفسير الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجزائري، السيد عبد الله، التحفة السنوية في شرح النخبة المحسنية، نسخة مخطوطة في برنامج مكتبة أهل البيت عليه السلام.
- الحلي، ابن نما، مثير الأحزان، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩ هـ.
- الحماني، علي بن محمد، ديوان الحماني، تحقيق: محمد حسين الاعرجي، بيروت، دار صادر، ١٤١٨هـ.
- الخواجوي، محمد إسماعيل، جامع الشتات، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الأولى، ١٤١٨هـ.
- ديوان عبدالرحمن بن حنبل الجمحي، جمع وتحقيق وشرح قيس العطار، قم، دليل ما، الأولى.
- ديوان قيس بن عمرو النحاشي، جمع وتحقيق وشرح: قيس العطار، قم، دليل ما، الأولى.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الأولى، ١٤٠٧هـ.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، الثانية، ١٤٢٧هـ.
- الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، المطبعة العلمية، ١٤٠٩هـ.
- الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ.
- الشيخ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، الاحتجاج، تعليق: السيد محمد باقر الخراسان، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦هـ.
- الشيخ المفيد، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، بيروت، دار المفيد، الثانية، ١٤١٤هـ.
- الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.
- الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراسان، طهران، دار الكتب الإسلامية، الرابعة، ١٣٦٣ش.
- الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراسان، طهران، دار الكتب الإسلامية، الثالثة، ١٣٦٤ش.
- العاملي، علي بن يونس، الصراط المستقيم، تصحيح: محمد الباقر البهبودي، المطبعة الحيدري، الأولى، ١٣٨٤هـ.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، قم، دار المحجة، الأولى، ١٤٠٥هـ.
- القرشي المصري، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، بيروت، دار الفكر، الأولى، ١٤١٦هـ.
- الكراچكي، أبوالفتح، كنز الفوائد، قم، مكتبة المصطفوي، الثانية، ١٣٦٩ش.
- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال، تصحيح: الشيخ صفوة السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ.
- المظفر، محمد رضا، المنطق، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.
- النمري، منصور بن سلمة، ديوان منصور النمري، جمعه وحققه: الطيب العشا، دمشق، مجمع اللغة العربية بدمشق.